

الدراسة النظرية

- الفصل الأول : الخصائص النمائية لمرحلة المراهقة
- الفصل الثاني : غياب الأب (أسبابه وأهميته وأثره في تكوين شخصية المراهق)
- الفصل الثالث : الأبوة والعدوانية
- الفصل الرابع : الأبوة وتقدير الذات
- الفصل الخامس : الأبوة والأمن النفسي
- الفصل السادس : الأبوة والتنميط الجنسي
- الفصل السابع : الأبوة والخضوع والمسايرة

الفصل الأول

الخصائص النمائية لمرحلة
المراهقة

مدخل

يمر الفرد في حياته بمراحل نمائية متعددة، ومن الثابت علمياً أن كل مرحلة تتأثر بما قبلها وتمهد لما بعدها؛ فالنمو عملية متصلة ومستمرة، يمر بها الكائن البشري من الطفولة إلى الرشد مروراً بالمراهقة التي تأخذ شكلاً متميزاً في جوانب النمو المختلفة. والمراهقة مصطلح يشير إلى "النمو النفسي ومجموعة التغيرات التي تحدث في أثناء فترة الانتقال من الطفولة إلى الرشد".

ويمكن تحديد بداية المراهقة عموماً من سن الحادية عشرة أو الثانية عشرة لدى البنات، والثانية عشرة أو الثالثة عشرة لدى الأولاد، وتستمر حتى نحو العشرين من العمر.

وفي هذه المرحلة الهامة من النمو يكتسب الأفراد تدريجياً مجموعة كبيرة من المهارات، فيبدؤون بالتفكير بصورة معمقة في أنفسهم، وفي والديهم، وفي مدرسيهم، وفي أقرانهم، وفي الأحداث

الواقعية وفي العالم من حولهم وفي تحديد أهدافهم التي يطمحون إلى تحقيقها في المستقبل. ويمكن أن يبنوا كذلك مجموعة من المعايير المتصلة بالأسرة، كالدين والمدرسة والدور الجنسي.

ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى مرحلتين رئيسيتين:

- مرحلة البلوغ: وتشمل بداية التغيرات الجسمية المرتبطة بالبلوغ الجنسي واكتمالها وتنتهي في نحو الخامسة عشرة. وتشمل طلاب المرحلة الإعدادية والمرحلة الثانوية.
- مرحلة الشباب: وهي الفترة التي تبدأ مع اكتمال التغيرات الجسمية وتمتد إلى المرحلة الجامعية، ويمثل هذا الطور مرحلة نمائية بين المراهقة والرشد.

وإن التغيرات الجسدية والعقلية والنفسية والاجتماعية والخلفية التي تطرأ على الإنسان في هذه المرحلة من مراحل النمو، تجعلها ذات أهمية وخصوصية؛ إذ إن هذه التغيرات سوف تعكس الخبرات والتجارب التي مر بها الفرد في الطفولة، كما أنها ستعكس على حياته النفسية والاجتماعية الحالية والمستقبلية.

الخصائص النفسية

يحتاج الأفراد في مختلف مراحل حياتهم إلى إشباع حاجاتهم النفسية، وتختلف هذه الحاجات باختلاف المرحلة العمرية، ويحتاج المراهقون إلى إشباع كثير من الحاجات النفسية ليحققوا نمواً نفسياً سليماً، من أهمها:

- الحاجة إلى الأمن (Need for Security).
- الحاجة إلى الحب والمحبة (Need for affection).

- الحاجة إلى الانتماء (Need for Affiliation).
- الحاجة إلى الحرية (Need for Freedom).
- الحاجة إلى تحقيق الذات (Need for actualization).
- الحاجة إلى النجاح (Need for Success).
- الحاجة إلى المسايرة (Need for Conformity).
- الحاجة إلى الظهور (Need for Exhibition).
- الحاجة إلى المخاطرة (Need for Adventure).
- الحاجة إلى الشعور بقيمة الذات (Need for personal worth).

وتشهد هذه المرحلة نمو جوانب الشخصية كافة، وتتعدد مظاهر النمو النفسي والانفعالي وتتميز بخصائص انفعالية عامة شبه ثابتة تميز الأفراد في هذه المرحلة التي تتضح فيها الفروق بين الجنسين وبين الأفراد. ويكاد النمو النفسي يؤثر في جميع مظاهر النمو وفي كل جوانب الشخصية، وتجلى أهم مظاهره في الحساسية الانفعالية وصعوبة التحكم في الانفعالات التي تظهر عنيفة ومتذبذبة ومتناقضة، كما تظهر مشاعر الخجل والميول الانطوائية والتردد ونقص الثقة بالذات والقلق النفسي والميل نحو الجنس الآخر، وظهور مشاعر الغضب والتمرد نحو السلطة والاعتداد بالنفس والاهتمام بالمظهر والقدرة على المشاركة الانفعالية مع الآخرين وفهمهم، وعدم الاستقرار والشك والانسحاب وتوقع الأذى وغيرها من الاضطرابات.

ويحاول المراهق تحقيق الاستقلال الانفعالي وتكوين شخصية مستقلة؛ فهو يبدي الطاعة إذا تلقى الحب والفهم، وهو يحتاج إلى الحب الحقيقي كي يحقق النمو السوي.

وتظهر الحاجة إلى الاستقلال منذ الطفولة الأولى إلا أنها تصبح أكثر إلحاحاً ووضوحاً في المراهقة، وتتجلى الحاجة إلى الاستقلال والاعتماد على النفس في محاولات الطفل الصغير في السنة الأولى من عمره، الجلوس والوقوف والتحكم بحركاته، لكن هذه الحاجة تصبح في المراهقة على درجة من القوة والتأثير بحيث تصبح غاية في حد ذاتها، فالمراهقون يناضلون من أجل التحرر من قيود الأهل، ومن أجل أن يصبحوا أكثر حرية ومسؤولية في تصريف شؤونهم الخاصة.

فالتغيرات التي تطرأ على سلوك المراهق واتجاهاته إزاء البلوغ هي في جوهرها نتاج تغيرات اجتماعية أكثر منها تغيرات فسيولوجية، ويعتمد مقدار وعمق هذه التأثيرات في البلوغ على سرعة النضج وتأثيره في التكوين الجسمي العام للفرد من ناحية، وعلى الإعداد السيكولوجي اللاحق لهذه التغيرات من ناحية أخرى. ففي حال عدم وجود أي تمهيد فإن ذلك قد يؤدي إلى عدم تقبل المراهق لهذه التغيرات وإلى تكوين اتجاهات غير صحيحة، مما يسبب ظهور بعض المشكلات النفسية والسلوكية، كالانطواء، النفور من العمل والنشاط، الملل، عدم الاستقرار، الرفض والعناد، مقاومة السلطة، رفض الجنس الآخر، الانفعالية الشديدة، تدني تقدير الذات، المبالغة في الاهتمام بمسائل الجنس، أحلام اليقظة، شدة الحياء، وغيرها.

فالنمو النفسي الذي يحدث في هذه المرحلة هو من أهم مميزات مرحلة المراهقة، إذ تتضارب الانفعالات وتشتد قوتها، ويحدث ذلك نتيجة للنمو الجسمي والعقلي والاجتماعي، فتتأثر به وتتوثر فيه.

وينمو المراهق في هذه المرحلة نمواً خلقياً هاماً، فتظهر لديه الاتجاهات ويتبنى قيماً وأفكاراً، أو يرفض بعض القيم والأفكار، كما يبدي اهتماماً بالأمر الدينية. وقد يبدي الحماسة لبعض

المبادئ، ففي هذه المرحلة يبحث المراهق عن فلسفة عامة للحياة، وتتكون لديه ميول ورغبات فكرية، فقد يتوجه نحو التدين أو الإلحاد والكفر بكل المثل المتعارف عليها، وقد يدفعه تدينه إلى الالتحاق بالجماعات المتطرفة والتضحية بنفسه في سبيل المثل العليا، وتتابه الشكوك في هذه المرحلة لإعادة النظر فيما تلقاه سابقاً من أفكار ومبادئ، وهي بحد ذاتها رغبة في التنفيس عن الحقيقة والانتقال من الشك إلى اليقين.

ويحتاج المراهق إلى الشعور بالمكانة، والاعتراف به شخصاً ذا قيمة وأهمية، وذلك بأن يلقي الاهتمام والتقدير من المحيط الاجتماعي حوله، ويساعده ذلك في تقبل ذاته وتكوين اتجاهات إيجابية نحوها ونحو الحياة، وإشباع حاجته إلى الانتماء، وتبني المبادئ الأخلاقية المناسبة والإيمان بالخالق وقدرته، فمن شأن ذلك أن يجنبه الكثير من الخبرات والمشاعر والانفعالات السلبية التي يمكن أن تترك آثارها على صحته البدنية والنفسية، كالتعب والصداع والاضطرابات الهضمية، وتؤثر في نشاطه العقلي، وقد تؤدي إلى تكوين الاتجاهات والعادات الانفعالية السلبية.

فالمراهق يحتاج إلى الرعاية السليمة لنموه النفسي، وذلك بتوجيه انفعالاته إلى غايات تحقق طموحه وسعادته، كما تحقق تقدير الجماعة واحترامها. وللوالدين دورهما الهام في توجيه نموه ومساعدته على إشباع حاجاته النفسية، وذلك بمساعدته على تقبل ذاته وتعويده الثقة بالنفس، من خلال تقبل أفراد الأسرة له، وتعليمه المرونة والقدرة على ضبط الانفعالات، وإشباع حاجته إلى الحب والفهم والانتماء، فالمراهق يحب الآخرين كما يحتاج إلى حب الآخرين، وإن ذلك يساعده على تحقيق النمو النفسي السوي.

الخصائص الاجتماعية

تستمر عملية التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعي في مرحلة المراهقة والتي يقوم بها الوالدان أولاً والمدرسة ثانياً، وباقي مؤسسات المجتمع ثالثاً، إذ يستمر تعلم القيم والمعايير الاجتماعية أو استدخالها من الأشخاص الهامين في حياة الفرد. وتعتبر هذه المرحلة بحق مرحلة التطبيع الاجتماعي.

ومن أهم مظاهر النمو الاجتماعي التي تظهر في هذه المرحلة على سبيل المثال رغبة المراهق في مشاركة الآخرين وبناء علاقات وطيدة وناضجة مع الأقران من جنسه ومن الجنس الآخر، والاهتمام الشخصي، والرغبة في توجيه الذات، ونمو القيم وتحقيق التوافق الشخصي والاجتماعي.

إن مرحلة التحولات النمائية الحاسمة تكسب علاقات الناشئ بأقرانه وعلاقاته الاجتماعية بصورة عامة طابعاً خاصاً، وتجعلها أكثر شمولاً وعمقاً، ومن أصعب مطالب النمو الاجتماعي التي يجب أن يسيطر عليها المراهق ما يرتبط بالتكيف الاجتماعي؛ ففي هذه المرحلة يتحد المراهق مع أقرانه ويسعد بالقبول الاجتماعي الذي يتلقاه، وبالطمأنينة والمكانة التي يبدأ بتحقيقها في الأسرة، من خلال علاقته بوالديه، وفهمهما وتشجيعهما له. ومن خلال الاستقرار الذي يشعر به بين أفراد أسرته، إذ تكون علاقاتهم مبنية على الفهم والمحبة.

ويمكن الحكم على المراهق بأنه ناضج اجتماعياً من خلال معايير عدة منها: الارتياح في المواقف الاجتماعية، غلبة المشاعر الجماعية على المشاعر الأخرى، القدرة على تحمل المسؤولية، الإسهام في

الفعاليات الاجتماعية، الاستقلالية في اتخاذ القرارات، القدرة على الاختيار، الاهتمام المتصاعد بالجنس الآخر وإقامة علاقات معه وممارسة السلوك الموافق للجنس.

وإن تحقيق المراهق بناء علاقات جيدة مع الوالدين والأقران والمدرسين والأشخاص المهمين بالنسبة إليه يساعده في تحقيق تكيف سليم وفي اكتساب دوره الاجتماعي، ومن ثمَّ النجاح فيه مستقبلاً.

ويحتاج المراهق إلى تكوين فلسفة مرضية عن العالم الذي يعيش فيه، وذلك تبعاً لنمو قدراته العقلية، وزيادة خبراته الاجتماعية، وتجلّى في ميله إلى تمحيص الأمور كالتفكير في الكون والدين، والواقع أن المراهق لا يكون مستعداً لتقبل المفاهيم الخلقية دون مناقشة كما كان عليه الحال في أثناء الطفولة، إنه يحاول بناء نظامه الأخلاقي معتمداً على المبادئ الأخلاقية التي تكونت لديه في أثناء الطفولة، والتي يجب أن تتعدل وتتغير لتلائم المستوى الأكثر نضجاً من النمو في هذه المرحلة. ولعلَّ الأشدَّ ضرراً أن يعجز الضمير - وهو قوة الضبط الداخلي عند الراشد الذي تعدُّ مرحلة المراهقة المقدمة الطبيعية له- عن النمو بالمعدل المطلوب.

ويرتبط النمو الخلقى بالقواعد والمعتقدات التي يقوم بها الأفراد عند تفاعلهم مع الآخرين، ويحدث هذا النمو على مستوى المشاعر والأفكار والسلوك، ويعدُّ النمو الخلقى هاماً، وخصوصاً عندما ينتقل المراهق من بيئته المنزلية إلى العالم الخارجي المنفتح كالجامعة. وينمو وعي المراهقين الخلقى من خلال تجاربهم وخبراتهم الاجتماعية، وهنا يؤدي الراشدون، وخصوصاً الوالدين، دوراً في حياة المراهق من حيث بلورة القيم الاجتماعية المناسبة. ويساعد تكوين

الأخلاق خلال المراهقة على تدعيم البنية النفسية للمراهق، كما أن بناء الذات يستخدم في اكتساب المعلومات الاجتماعية وإعطاء المعاني للخبرة، ويحدث تكون السلوك في مراحل متتابعة مستمرة، وتؤدي التفاعلات الاجتماعية دورها في منح الفرصة للمراهق للتعبير عن ذاته وممارسة حقه في المشاركة، مما يساعد في نمو شخصيته. وتأخذ علاقات المراهقين مع الأجداد أهمية كبيرة في ترقية نضج شخصيتهم من خلال تبني خبرات هامة من الماضي وربطها بالحاضر وبالتصورات المستقبلية. فالنمو الخلقى يزود السلوك الاجتماعي والشخصي بقواعد كثيرة، ويساعد النمو المعرفي في هذه المرحلة على تشجيع النضج من ناحية الخلق والسلوك، كما أن السلوك الوالدي الذي يتضمن تفسيرات واضحة معبراً عنها بأسلوب عاطفي، يسهل نقل القيم الإيجابية بين الآباء والأبناء.

وتظهر لدى المراهقين بعض الميول والاتجاهات، تتجلى في خصائص سلوكية من أهمها الاهتمام بالجنس الآخر ومحاولة جذب انتباهه، ومن الضروري تنمية اتجاه إيجابي نحو الجنس الآخر في هذه المرحلة من أجل نمو كثير من المظاهر السلوكية المقبولة، وللتأهيل للزواج مستقبلاً، ويصاحب هذا الاهتمام بالجنس اهتمام بالمظهر والذي يصل إلى حد المبالغة أحياناً.

ويميل المراهق إلى مساندة الجماعة، فيحاول الظهور بمظهرهم، والتصرف مثلهم، ثم يتلاشى هذا الشعور لتحل محله الرغبة في تأكيد الذات؛ فيسعى ليكون له مركز في جماعته، فيبالغ في الحديث عن مغامراته وغرامياته أو تحصيله.

ومن السمات الأخرى تمرد المراهق على الراشدين بمن فيهم الأسرة، وقد يصل هذا التمرد إلى العصيان وتحدي السلطة، ويزداد

تعصب المراهق لأرائه ولمعايير جماعة الأقران التي ينتمي إليها، ثم تقل تدريجياً حدة هذا التعصب بعد سن السادسة عشرة.

كما تظهر النزعة إلى الاستقلال الاجتماعي والانتقال من الاعتماد على الغير إلى الاعتماد على النفس، وينمو لدى المراهق الوعي الاجتماعي والرغبة في تحمل بعض المسؤوليات الاجتماعية، ويزداد بالمكانة الاجتماعية والطبقة التي ينتمي إليها، ويظهر الرغبة في الزعامة.

ويؤدي الراشدون وخصوصاً الوالدين دوراً هاماً في مساعدة المراهق على بلورة القيم الاجتماعية المناسبة، والتي تعدّ من العوامل المؤثرة في السلوك الاجتماعي للمراهق.

كما أن الوضع الاجتماعي والاقتصادي للأسرة، وجماعة الأقران والمدرسة، وثقافة المجتمع، بالإضافة إلى جنس المراهق وثقافته وطبيعة شخصيته وسماته النفسية، تأخذ دوراً هاماً في بلورة قيمه ومبادئه، التي ستوجه حياته الاجتماعية والعملية، وتكون مؤثرة في مستقبله.

الخصائص العقلية

يحدث النمو العقلي في المراهقة مرتبطاً مع خصائص النمو الأخرى، متأثراً بها ومؤثراً فيها؛ فالتغيرات العقلية التي تطرأ على الفرد في هذه المرحلة هي إحدى جوانب النمو التي تحدث، شأنها في ذلك شأن التغيرات الحاصلة في جوانب النمو الأخرى. وإن من أهم المؤشرات الدالة على النمو العقلي في مرحلة المراهقة، والتي لها أهمية خاصة في النمو العقلي اللاحق، نمو القدرة على التمييز أو

المفاضلة، والتمكن نسبياً من عمليات التحليل والتركيب والاستقراء وغيرها، وتقدم مجرى النمو العقلي العام، مما يجعل القدرة على التعلم تتعاظم وتكتسب طابعاً مغايراً لما كانت عليه قبل المراهقة.

وهكذا يصبح المراهق قادراً على القيام بأنواع من العمليات العقلية تختلف كماً ونوعاً عما كان يحدث في المراحل السابقة من حيث زيادة قدرته على التعلم، وعلى إدراك العلاقات بين الأشياء وحل المشكلات الصعبة، ففي هذه المرحلة يدخل الإدراك في علاقات تأثير متبادلة مع العمليات المعرفية الأخرى، وبصورة خاصة مع التفكير، كما يتفاعل مع مجمل مكونات شخصية المراهق وسماتها وخصائصها، إذ يغدو إدراكه مماثلاً إلى حد كبير إدراك الإنسان الراشد.

ويصبح أكثر قدرة على التعامل مع الأفكار المجردة، كما تظهر لديه القدرات الطائفية المتخصصة التي تؤكد الفروق العقلية الواسعة بين مختلف المراهقين، فيجد للحصول على المعارف الواسعة، والمواصلة على الإدراك العميق والتصرف بحكمة، وممارسة المحاكمات العقلية السليمة، وإعطاء الأحكام الصائبة التي تتطلب بدورها إبداء وجهة النظر.

إلا أن هذا لا يعني أن المراهق يفكر كما يفكر الراشد، وإنما يعني أنه أصبح لديه القدرة على استخدام المنحى نفسه الذي استخدمه الراشد في حل المشكلات.

ويطور المراهق في هذه المرحلة مستوى تفكيره من المحسوس العياني إلى التفكير اللفظي والمجرد غير المحدد بالزمان والمكان، ويتسم تفكيره بالخصائص التالية: الاستدلال المجرد، التمييز بين

الواقع والمحتمل، اتساع نطاق التفكير والتفكير العلمي، الاستدلال الترابطي، الاستدلال متعدد الأبعاد، التفكير الفرضي الاستنباطي. وتعتمد أبعاد النمو الأخرى على التقدم المعرفي الذي يحرزه المراهق في هذه المرحلة، بما يتضمنه ذلك من علاقة المراهق بوالديه، وتطور سماته الشخصية، وفي التخطيط لمستقبله التعليمي والمهني، وفي زيادة الاهتمام بالمسائل الاجتماعية والسياسية والدينية والشخصية، وفي نمو الشعور بالهوية الشخصية.

ويشكل التمرکز حول الذات نمواً معرفياً هاماً خلال المراهقة، وتؤدي الخبرات الاجتماعية وخبرات العمل دوراً في التقليل من الاهتمامات الذاتية، وهناك مراحل نمو متتالية من أجل المعرفة يمر بها المراهق، وهناك تحول من السلبية إلى الوصول لشخصية المتعلم الإيجابي.

وتتصل العمليات العقلية (Mental processes) اتصالاً مباشراً بما يحدث للعقل في أثناء التفكير والتذكر والتخيل والإدراك، ويتصف تفكير المراهق بالحرية، ومرونة العمليات العقلية والقدرة على التحكم فيها، ويستطيع التحليق بفكره بعيداً عن الزمان والمكان، ويتميز تفكيره في هذه المرحلة بأنه تفكير شكلي (Formal thinking) يتضمن البدء بالمعطيات دون الإضافة إليها أو الطرح منها، ويستطيع المراهق التفكير بطريقته الخاصة والابتعاد عن التمرکز حول الذات. فهو قادر على التفكير التجريدي (Abstract thinking) أي أن يستنتج ويخلق في حيز ما هو ممكن، وهذه الخاصية لا تقتصر على الناحية المعرفية بل يمتد تأثيرها إلى الناحية الاجتماعية، ويستطيع أن يستخدم نظاماً رمزياً من الدرجة الثانية فيعبر بالرموز عن رموز أخرى، وأن يفهم قوانين الفيزياء والرياضيات والفلسفة كمفاهيم الخير والحق. ويمكن

أن يستخدم الكلمات لأكثر من معنى، وهكذا يمكنه فهم التعبير المجازي والصور البلاغية الأخرى، ويختفي الخلط بين الأفكار تدريجياً كلما تقدم المراهق باتجاه أخذ دوره ضمن مجتمع الراشدين، وهكذا يتمكن من التفكير في حالاته النفسية وفي صفاته، ويصبح أكثر وعياً بنفسه، وقد ينتقد ذاته. كما يتضمن تفكيره القدرة على الربط بين المتغيرات، ويستطيع كذلك أن يعبر عن العلاقة الكمية بين المتغيرات في صورة نسب.

وتنمو قدرة المراهق على التذكر (Memory) وتعتمد عملية التذكر على الترميز؛ فالتجميع والتوحيد للانطباعات والآثار في صور مركبة هو طور ابتدائي من عملية التذكر، وسرعان ما تتحول الصور والمركبات إلى رموز يتم إدخالها في منظومة من العلاقات المتعددة المعايير، وهكذا فإن الترميز من أهم الخصائص التي تميز الذاكرة البشرية الكلامية- المنطقية القائمة على التصنيف والتعميم والتجريد، ويمكن القول إنه توجد استراتيجيات متعددة محتملة في ترميز أي مادة كانت تبعاً للخصائص العمرية والمعرفية والانفعالية وغيرها من الخصائص.

وهكذا فإن مستوى النمو العقلي في المراهقة يؤهل المراهق للتفكير التجريدي، فيصبح أكثر قدرة على الترميز من خلال إدراكه وتمييزه لخصائص المثيرات من حوله كالشكل والحركة، فتزداد إمكانية الذاكرة كماً ونوعاً، كما تتطور عملية التخيل (Imagination) من المحسوس إلى المجرد، فيميل المراهق إلى ممارسة النشاطات الأدبية والفنية. وينمو الإدراك (Perception) من المستوى الحسي المباشر إلى المدركات المعنوية البعيدة، وتظهر القدرات الخاصة، فتظهر الميول وتتنوع، مع تمايز الحياة العقلية وسمات الشخصية.

إن النمو العقلي في المراهقة، يتجلى في زيادة الحاجة إلى المعرفة وحب الاستطلاع، ويمكن للأب بمساعدة الأم أن يوجه هذا النمو بصورة إيجابية، ويساعد في ارتقائه وتطويره، وذلك بإجراء الحوار مع المراهق ومناقشته واحترام وجهة نظره والإجابة عن أسئلته بجدية، وتوفير المثيرات المناسبة له كالكاتب والمجلات ومختلف المصادر العلمية والحاسوب ووسائل الاطلاع، مما يشجعه على التفكير العلمي والبحث عن الحقائق، ويساعد في اكتشاف ميوله ورغباته وتعزيز الثقة بنفسه وبقدراته.

الخصائص الجسدية

تظهر التغيرات الجسدية السريعة في بنية جسم المراهق، فتظهر الصفات الجنسية المميزة للذكور والإناث، الناجمة عن نشاط الهرمونات. ويحدث البلوغ كمرحلة متوسطة في النمو الجنسي، ويوجد اختلافات في سرعة الوصول إلى النضج الجنسي بين أفراد الجنسين وبين أفراد الجنس الواحد، ويرجع ذلك إلى الاختلاف في سرعة نشاط الغدد الصماء، وإلى الحالة الجسمية للفرد وإلى الذكاء والوراثة والمناخ.

ويزداد نمو الجسم في مرحلة المراهقة، ويبدو أثر التغذية والبيئة على الطول والوزن، لكن الأثر الأكبر يكون للوراثة في تحديد طول الجسم ووزنه وخصائصه الجنسية، وقد بينت دراسة شتيلورث (Shitloarth) أن الزيادة الكبرى في الوزن والطول تكون بين سن (١٤-١٦) عاماً لدى البنين، و (١٢-١٤) عاماً لدى البنات، وقد يصاب المراهق بفقد الشهية والإجهاد والصداع وعدم الرغبة في

اللعب، بسبب الزيادة في سرعة النمو وما يصاحبها من تغيرات داخلية وإفرازات غدية..

ويشمل النمو الجسمي ناحيتين: النمو الداخلي الفسيولوجي، والنمو الخارجي العضوي.

- النمو الفسيولوجي: ويشمل نمو الأعضاء والأجهزة الداخلية للفرد، فيحدث التغير في الغدد الجنسية والتغير في الغدد الصماء، النضج والبلوغ الجنسي، التغيرات في الأجهزة الداخلية والتغيرات الجنسية الثانوية.

- النمو العضوي: وهو التغيرات التي تحدث في جسم الفتى، والتي سوف يكيف حياته وسلوكه وفقاً لمتطلباتها. فعملية التكيف مع التغيرات الجسمية تأخذ بالتعقد، ويختلط الأمر على الفتى الذي لا يستطيع التنبؤ بسرعة نضجه، أو معرفة مدى التغيرات التي سيتعرض لها جسمه، وإن لجسم الفتى وصفاته العضوية تأثيراً كبيراً في الصورة التي يحملها عن نفسه وعن الانطباعات التي يحملها الآخرون عنه، وتؤثر التغيرات الجسمية بصورة كبيرة في أفكار المراهق وإحساسه وسلوكه العام، وتعتمد الصورة الجديدة التي تتكون لديه إلى حد كبير على الوسط الثقافي الذي يعيش ضمنه.

ينمو الهيكل العظمي ويعدّ نموه المؤشر الأكبر للنمو الجسمي، إذ تتحول العظام إلى صلابة كثيفة وقاسية، وتتقدم البنات على الأولاد في نمو العظام عند الولادة. ومن مظاهر النمو العضوي حدوث تغيرات في الطول والوزن، إذ يمتد الجسم ويستطيل ويتحول النسيج العضلي إلى عظم، وتبدو السيطرة على العضلات ضئيلة بالنسبة إلى أطراد نموها، مما يسبب نقصاً وقتياً في اتزان حركة الجسم، وتختلف سرعة النمو

في مرحلة المراهقة؛ فقد يظهر الأولاد طفرة في النمو، ثم يعقبها هبوط ملموس في سرعة النمو.

يظهر من خلال استعراض ما سبق أن النمو يحدث في خصائص شخصية المراهق كافة، وأن أبعاد النمو هذه مرتبطة وتشكل كلاً لا يمكن فصله، فهي تحدث في آن معاً، كما أنها تؤثر بعضها في بعض. وإن أي خلل في أحد أبعاد النمو هذه لا بد أن ينعكس على جوانب النمو الأخرى وقد يؤدي إلى اضطراب الشخصية عموماً.

دور الأب في تنمية الخصائص الشخصية للمراهق

إن التغيرات السريعة التي تحدث للمراهق والتي تشمل جوانب شخصيته كافة، قد تثير لديه كثيراً من الأسئلة، وتجعله أكثر حاجة إلى دعم الأبوين وحبهما وتقبلهما له، وإن هذا الدعم الذي يقدمه الأب إلى جانب الأم هو غاية في الأهمية؛ لأنه يساعد الأبناء في الوصول إلى النضج بهدوء.

ويحتاج المراهق إلى من يوجهه ويرد على تساؤلاته التي قد تسبب له القلق النفسي، والأب والأم هما خير من يقوم بهذا الدور، فمسؤولية رعاية المراهق تقع على عاتق الأب والأم معاً. وتشكل البيئة المجال الخصب المليء بالخبرات الحياتية وصور التفاعل التي يكتسب المراهق من خلالها اتجاهاته وميوله وعواطفه. وإن وجود الأب إلى جانب الأم في الأسرة، وقيامه بدوره بفاعلية وكفاءة في توجيه نمو الأبناء ومساعدتهم في تخطي أزماتهم هو الكفيل بتحقيق الاستقرار في الأسرة وسلامة نمو الأبناء في هذه المرحلة النمائية الهامة.

ويحتاج المراهقون إلى إدراك أهميتهم في العائلة والمدرسة

والمجتمع، وأن يولوا الاحترام والتقدير وهم في بحث دؤوب لمعرفة ذواتهم، ويسعون إلى الحفاظ على كرامتهم واستقلالهم عن الآخرين واستلام المسؤوليات.

والسمة الأساسية للنمو النفسي لديهم هي الرغبة في العطف على الآخرين وكسب ثقتهم في آن معاً، ولا شك أن عملية الأخذ والعطاء هذه ضرورية لتأمين الاستقرار العاطفي في حياة المراهق، مما يساعده على تحمل المسؤولية، ونمو الثقة بالنفس، والتقدير الإيجابي للذات، والرغبة الصادقة في المغامرة في الحياة دون خوف، وتزويده بالقدرة على مواجهة متطلبات الحياة.

ومن المطالب التربوية للتنشئة الاجتماعية في مجال النمو النفسي الالتفات إلى أي مشكلة انفعالية عند المراهق والمبادرة إلى حلها، والعمل على التخلص من التناقض الانفعالي، والاستغراق الزائد في أحلام اليقظة ومساعدته على تحقيق الاستقلال، وتعويد القدرة على ضبط الانفعالات من أجل تحقيق التوافق النفسي، وتعزيز ثقته بذاته. والاهتمام بمعرفة مستوى نموه النفسي ومعاملته على أساسه، ومساعدته على شغل أوقات فراغه بالمفيد من الهوايات والأعمال، وفي تحديد فلسفة ناجحة في الحياة، والتغلب على العوامل المعيقة للنمو النفسي السوي.

أما المطالب التربوية للتنشئة الاجتماعية في هذه المرحلة، فيما يتعلق بالنمو الاجتماعي، فتتطوي على ضرورة الاهتمام بالتربية الاجتماعية في الأسرة والمدرسة والمجتمع. والاهتمام بالقيم والمعايير السلوكية السليمة في جميع نواحي العملية التربوية، وتشجيع التعاون مع أفراد الأسرة والمؤسسات الاجتماعية، واحترام رغبة المراهق في الاستقلال دون إهمال رعايته. وتنمية ميوله إلى فهم الآخرين وتشجيع

الميل إلى الزعامة وتدريبه على القيادة، والعمل على زيادة تقبله للمسؤولية الاجتماعية.

وتظهر أهمية دور الأب في تنمية الخصائص النفسية والاجتماعية والعقلية للأبناء:

فهو مسؤول عن النمو النفسي للأبناء للأسباب التالية:

- ظهور حاجات اجتماعية ونفسية وانفعالية هامة لدى المراهق، ولا شك أن للأب دوراً هاماً في إشباع هذه الحاجات؛ فوجود الأب إلى جانب أبنائه يشعرهم بوجود السند العاطفي والإحساس بالأمن، فالأب بالنسبة إليهم هو الشخص القادر على حماية الأسرة وحمايتهم من أي خطر يمكن أن يتعرضوا له.

- إن الخصوصيات والصفات التي تبرز في هذه المرحلة من عمر الإنسان تجعلها ذات أهمية خاصة؛ فهي مرحلة النشاط والحيوية التي يحتاج الابن خلالها إلى طلب النصح والمشورة من شخص يثق به كالأب الذي يشكل صلة الوصل بين الأبناء والعالم الخارجي، ويمكن أن يجيب عن تساؤلات أبنائه في إطار علاقة تتصف بالصدقة والصراحة والثقة، والحوار الواعي والهادف.

- يجهد المراهق لتأكيد استقلاليته عن الوالدين، ومع ذلك فهو يحتاج إلى الدعم النفسي من الآخرين وخصوصاً الأب والذي يمكن أن يساعده على تأكيد ذاته.

فتخفيف سيطرة الأب تدريجياً، ومنح الابن استقلاله رويداً رويداً في ظل التوجيه والإرشاد والإيحاء والحوار والمناقشة، وتبصيره بعواقب أي تصرف معوج، يساعده على تنمية الشعور بالمسؤولية وتعود الاعتماد على النفس ومواجهة الحقائق وحسن التصرف.

- إن الأساس المتين الذي يرتكز عليه تكامل شخصية الأبناء، والقاعدة الراسخة التي تبنى عليها أخلاقهم وعاداتهم وطباعهم، تتكون تبعاً لمعاملة الآباء لهم، فالتربية تتطلب الشدة المعتدلة أحياناً، واللين أحياناً أخرى.

- تعدُّ صحة الأب النفسية من أهم الأسس النفسية للرعاية السليمة للأبناء في المراهقة. وتنتقل سمات شخصية الأب إلى أبنائه، من خلال سلوكه وصورته البادية أمام أبنائه، وهو الموجه الأول لأفكارهم وسلوكهم..

وإن معرفة الآباء خصائص هذه المرحلة وحاجاتها ومشكلاتها تساعد على ممارسة دورهم المطلوب منهم القيام به بفعالية وكفاءة، في إشباع حاجات الأبناء، وتهيئة الجو المناسب وتقديم الدعم النفسي اللازم لهم، كي ينمو بصورة سليمة، ويحققوا استقلاليتهم التي تشكل مطلباً أساسياً من مطالب النمو. وذلك بالحوار والمناقشة والإرشاد والإيحاء وتعويدهم الشعور بالمسؤولية والاعتماد على النفس ومواجهة الحقائق والتمييز بين الخطأ والصواب. فالمعاملة الوالدية التي تقوم على الحزم المقرون بالحب هي من أهم أسس الرعاية النفسية السليمة للأبناء.

الأب مسؤول عن الناحية الاجتماعية والأخلاقية للأبناء لأنه:

- مصدر السلطة والقانون الاجتماعي؛ فهو القائد الذي ينفذ القوانين ويتخذ القرارات ويقوم بالتوجيه والبناء والتنفيذ.

- رغبة الولد في تقليد أبيه وتمص شخصيته.

- الأب هو النموذج الذكري في محيط الأسرة، الذي يعدّ وجوده غاية في الأهمية كي يتعلم الذكور منه سلوك الرجال، وكيفية التعامل

مع الجنس الآخر من خلال معاملته للأم، وهو بالنسبة إلى الفتاة الرجل الأول والمثالي في حياتها، كما أنها تتعلم دورها كأنثى من خلال وجود الأب مع الأم في العائلة. فالآباء العطوفون لا يساعدون الأولاد على تطوير تقدير الذات بشكل إيجابي فحسب، بل يؤثرون أيضاً في عملية تطوير دور السلوك الجنسي لأولادهم. والآباء مهمون لكل من الذكور والإناث، إذ يتعلم الصبيان من آبائهم تنمية مواصفات الذكورة واهتماماتها ونشاطاتها والسلوك الاجتماعي المرتبط بها، في حين يمكن للبنات أن يتعلمن من آبائهن كيفية تطوير علاقة مريحة، واثقة مع الرجال. كما يملك الآباء المحبون أيضاً تأثيراً إيجابياً في الإنجازات الشخصية للصبيان والتوافق والضبط الشخصي للبنات. ويؤمن الآباء المحبون ظروفًا معينة وأسباباً أخلاقية وإرشاداً معقولاً وثابتاً ليساعدوا أبناءهم على ترقية قدراتهم وكفاءاتهم. مما يظهر بجلاء أن الآباء مهمون لنمو أولادهم بقدر أهمية الأمهات.

فالأب هو المسؤول الأول إلى جانب الأم عن التنشئة الاجتماعية للأبناء؛ لأنه النموذج الذي يرغب الأبناء في تقليده في سلوكه، ومبادئه وطريقة محاكمته للأمور، فضلاً عن كونه الموجه الأول لأفكارهم وسلوكهم، فسلوك الأب وقيمه ومثله، تشكل المبادئ التي يتبناها الأبناء في حياتهم ويمارسونها في سلوكهم. ويتوقف ذلك على قوة العلاقة بين الأب وأبنائه، ومدى ثقتهم به وحبهم له.

الأب مسؤول عن الناحية العقلية للأبناء لأن:

- طريقة استدلال الأب واستخدامه للمفردات وتعامله مع الأمور وحتى رغباته وميوله، تنتقل إلى أولاده.

- يعلّم أبناءه تحمل المسؤولية وحب العمل وقيمة العمل والإنتاج وأهمية المال، وقد يختار الابن أو الابنة مهنته من خلال عمل أبيه. ويؤثر ذلك في طموح الأبناء، ورسم خططهم المستقبلية.
- يرث الابن من والده القدرات العقلية والميول والرغبات والاستعدادات.
- للأب دور هام في مشاركة ابنه على المستوى الثقافي، وذلك بمساعدته في اختيار الكتب والمجلات ومصادر المعرفة، وتوجيهه لمشاهدة البرامج المفيدة في التلفاز، ومساعدته على تنظيم وقته، واصطحابه في رحلات وزيارات.
- يتقاسم الأب مع الأم واجب الاهتمام بدراسة الأبناء، ومتابعة شؤون تحصيلهم، وتشجيعهم، ومراقبة أصدقائهم، وتوجيههم إلى ما هو صواب.